

صديق ابني راشداً!

يتباهى عمر بالصدافة الوطيدة التي تربطه بالرسام الذي يكبره بسنوات عدة، ويجد خالد في جاره الموظف غسان مثاله الأعلى فيلازمه طوال الأسبوع... يميل بعض المراهقين إلى بناء علاقة صداقة مع أشخاص راشدين غالباً ما يكونون من خارج المحيط العائلي. ويرى علماء النفس أن هذا النوع من الصداقات يعكس رغبة المراهق في الاستقلال عن أهله والتخلي عن العلاقة الانصهارية بهم. لذا يبحث عن نموذج آخر يتماهى به، قد يكون أستاذ المدرسة أو جاراً... وقد تنشأ بين الاثنين صداقة وطيدة، وهذا الاتجاه الجديد في العلاقة يعتبر مهماً لتحقيق النضج في شخصية المراهق ما دامت صداقة منطقية لا ينتج عنها تعلق مبالغ به. فإلى ماذا تشير هذه الصداقة بين المراهق والراشد؟ ومتى تكون هذه الصداقة محمودة ومتى تتخطى حدودها الطبيعية؟ وماذا يمكن الأهل القيام به إذا تخطت هذه العلاقة الحدود الطبيعية؟ "لها" التقت سرار معلوف الاختصاصية في علم النفس في جامعة هايكازيان في بيروت وطرحت عليها هذه الأسئلة وغيرها.

ديانا حدارة

يجدر بالأهل القلق من هذا النوع من العلاقات لأنها تحرم المراهق من اختبار المرحلة التي يمر بها أي التصرف كالمراهقين. وقد أثبتت الأبحاث أن معظم المراهقين الذين يصادفون أشخاصاً أكبر منهم سنّاً يقومون بتصرفات خاطئة كالتمسك بالسرير في السهر في الملاهي الليلية... .

وتشير معلوف إلى أنه من المعروف أن المراهق في هذه المرحلة يكون لديه قلق من المستقبل وتبرز لديه إشكالية وجوده وهويته الذاتية وما الذي سيكون عليه في المستقبل وما هي المهنة التي سيحترفها، وفي الوقت نفسه من غير الطبيعي ألا تكون له علاقات صداقة مع أتراب له. فهناك مرحلة يجب أن يمر بها المراهق، ولا يجوز أن يكون تابعاً لشخص راشد يمارس عليه سلطة هو أصلاً يحاول التخلص منها. فالتواصل مع الأتراب يعني الاختبارات الاجتماعية، فمثلاً حين

يجر حوار بينهما، ينتج عنه البحث عن شخص راشد يستطيع أن يفهم تطلعاته وآراءه الجديدة.

وتضيف الاختصاصية: "يحتاج المراهق عموماً إلى شخص راشد يكون مثاله الأعلى فإذا لم يجده في محيطه العائلي يبحث عنه في الخارج، قد يكون أستاذه أو جاره، وهذا طبيعي في هذه المرحلة.

وفي المقابل هناك أسباب عدة تدفع المراهق إلى بناء علاقة صداقة مع الراشد، فقد تكون هذه الصداقة محاولة منه للتعويض عن نقص في العلاقة مع أهله، أو ربما يريد المراهق خصوصاً في بداية المرحلة أن يبدو بمظهر الشخص الناضج فينتقرب من الأشخاص الأكبر منه سنّاً ويتعلق بهم إلى درجة أنه يتصرف مثلهم عندها

أكثر من عمر وعمر أصغر من خالد من هو الأصغر؟ سوف يشعر بالارتباك في الجواب عن هذه المسألة. مما يعني أن المراهق لم يعد يقبل تلقي الأمور من دون التفكير بها وتحليلها للموافقة عليها. لذا فإنه يعيد النظر في كل الأمور التي كان يقبلها من دون انتقادها أو تحليلها، مما يفسر جملة الاعتراضات التي تأخذ شكل العصيان على الأهل وكل ما يمثل له النموذج السلطوي. وفي المقابل ينظر الأهل إلى هذا الاتجاه الجديد في نمط تفكير المراهق على أنه تمرد في حين أن المراهق يختبر هذا التفكير ويجرب تطبيق الأفكار والعقائد الجديدة التي بدأت تتبلور لديه ويحاول أن يتبناها ويدافع عنها. وقد يحدث خلل في العلاقة بين المراهق وأهله إذ لم

تتولى معلوف: من المعلوم أن المراهقة ليست فقط مرحلة تحولات جسدية واجتماعية بل هي أيضاً مرحلة مهمة من التحول الذهني التربوي باعتبار أن التفكير يقفز من المستوى المحسوس إلى المستوى المجرد. وبحسب بياجيه يظهر في مرحلة المراهقة الفكر الفرضي الاستدلالي Formasi oqarision، بمعنى أن المراهق قادر على إبدال الأشياء المحسوسة بالأفكار الشفوية اللفظية المجردة. فمثلاً إذا طرحت على الطفل دون الثانية عشرة المسألة التالية: علي



د. سرار معلوف

سرار معلوف الاختصاصية في علم النفس: الصداقة بين المراهق والراشد تساعد على تنمية الشخصية. ولكن! الصداقة الوثيقة ترم المراهق من اختبار الحياة بكل مراحلها من الجيد أن يكون للمراهق مثال أعلى شرط ألا يكون مركز حياته

كيف يهكن الأهل معرفة أن العلاقة بين ابنهم المراهق أو ابنتهم والراشد بدأت تنحرف عن مجراها الطبيعي؟ عن هذا السؤال تجيب معلوف بالآتي:

❑ إذا لاحظوا تعلق ابنهم بالصدىق الراشد رغم ثقتهم به تعلقاً مبالغاً فيه. كان يمضي اليوم كله معه، ويومياً.

❑ أن ابنهم لم يعد لديه أصدقاء من سنّه. فمن الطبيعي أن يكون لديه صديق راشد يتماهى به، ولكن في الوقت نفسه يجب ألا يتخلّى عن أقرانه.

❑ أن ابنهم لا يكثر للخروج مع أقرانه أو لم يعد يشاركتهم نشاطاتهم.

❑ أن ابنهم بدأ يعلن عن إيمانه بأفكار ومعتقدات غريبة لا توافق عادات العائلة وتقاليدها.

❑ إذا لاحظوا خضوع ابنهم التام لهذا الشخص الراشد وتفيذه طلباته من دون اعتراض حتى وإن كانت أمور منطقية وصحيحة، فهذا مؤشّر لأنه وجد فيه بديلاً منهم.

منفذاً للتعرف إلى هويته المفضّلة. فمثلاً إذا كان يحب الهندسة المعمارية قد يتقرب من أحد المهندسين ويمضي معظم الوقت عنده بهدف تعزيز قدراته وتطوير ميله وتميمته، وهذا جزء من اكتشاف الهوية. وفي المقابل تحنّن الاختصاصية من تمضية المراهق معظم وقته مع الصديق الراشد. فقد يبارك الأهل هذه العلاقة خصوصاً إذا كان هذا الصديق العم أو الخال أو الجار المعروف بوقاره وجدبته ويفخرون بها لأن ابنهم يمضي الوقت معه. "صحيح أنه من الطبيعي أن يكون المراهق على تواصل مع الراشدين ولكن في الوقت نفسه من غير الطبيعي ألا تكون له علاقات صداقة مع أتراب له. فهناك مرحلة يجب أن يمر بها المراهق، ولا يجوز أن يكون تابعاً لشخص راشد يمارس عليه سلطة هو أصلاً يحاول التخلص منها. فالتواصل مع الأتراب يعني الاختبارات الاجتماعية، فمثلاً حين

يتحدث إلى قرين له هناك تبادل أفكار أي أخذ وعطاء وطريقة في التواصل تختلف عن تعامله مع الراشد، إضافة إلى أن التعامل مع الراشد يكون من منطلق السلطة أي أنه يتلقّى منه مثلما يتلقّى من أهله. في حين أن بناء شخصية منفردة بذاتها يتطلب اختبار المراهق أموراً من مستوى وعيه وقدراته لذا من الضروري أن يتواصل مع أترابه. من الجيد أن يكون للمراهق مثال أعلى أو مرشد ولكن لا يوجد أن يكون مركز حياته.



كيف يهكن الأهل إعادة هذه العلاقة إلى مجراها الصحيح؟

ومشاركتهم همومهم وتطلّعاتهم، ولكن في الوقت نفسه إذا كان الاجتماع مكثفاً أي إذا كان يومياً فيجب القلق، فلربما كانت لدى هذا الراشد أيديولوجية سياسية أو حزبية أو ثقافية، مخالفة لتقاليد المجتمع الذي ينتمي إليه المراهق، ويريد نشرها، فمن المعروف أن نشر أي أيديولوجية بغض النظر عما إذا كانت سليمة أم لا تتوجه إلى المراهقين باعتبار أنهم الفئة الاجتماعية المثلى لإجراء التلقين الأيديولوجي والسياسي.

ترى معلوف أن رفض الأهل هذه العلاقة قد يكون أحياناً سببه الشعور بالمنافسة وبالتقصير في تعاملهم مع ابنهم، أو أنهم لاحظوا الأمور التي أوردتها سابقاً. وفي كلا الحالين لا يجوز أن تتخطى العلاقة حدودها الطبيعية أي مجرد مرشد يسدي النصح. فلجوء المراهق إلى شخص غريب يكون بالنسبة إليه

بمنابة المرجع في كل الأمور الخاصة به، مؤشّر لوجود خلل ولغياب الحوار والصراحة بينه وبين أهله. لذا فعوض أن يعترض الأهل على هذه الصداقة عليهم أن يعرفوا ماذا يعطي هذا الصديق الراشد لابنهم، ما هي الأمور التي يناقشها، ويحاولوا القيام بها بطريقة غير مباشرة من دون إظهار التناقض مع

الصديق المرشد تجنباً للمواجهة التي قد تحدث بينهم وبين ابنهم، خصوصاً أن المراهق يحاول بناء هويته الذاتية وشخصيته المستقلة، لذا فسيعترض على كل ملاحظة توجه إليه من أهله، بل قد تؤدي المواجهة العنيفة بينهم وبين ابنهم إلى إصرار هذا الأخير على موقفه والتشبث به.

تعلق المراهق بصديقه الراشد مؤشّر لوجود خلل بين الأهل والابن

وتحنّن الاختصاصية الأهل من جعل الصديق المرشد الوسيط بينهم وبين ابنهم، إذ يعمد بعض الأهل إلى بعث رسائل إلى أبنائهم من خلال الصديق المرشد خصوصاً إذا كان من الأقارب أي الخال أو العم وهذا خطأ بل عليهم التحدث إلى ابنهم مباشرة، فمثلاً حين يقوم المراهق بتصرف مسيء وأخبر صديقه الذي يقوم بدوره بإخبار الأهل فيقومون بدورهم بعث رسالة إلى ابنهم تجنباً للمواجهة العنيفة. هذا التصرف جد خاطئ، بل على الأهل أن يكونوا المرجع الأساس لابنهم، فالمواجهة ضرورية لبناء شخصية المراهق حتى يتعلّم في المستقبل حل مشكلاته من دون وسيط. لذا تصح معلوف الأهل التحدث إلى ابنهم والتحاوّر معه كأن يقول الأب مثلاً "أنا أعرف أنك صديق لفلان لأنه في إمكانك التحدث إليه عن أمور لا تستطيع البوح بها إلي. لننحاور ونعرف ما الذي يقلقك" سوف يرد الابن عندما ابدي رأياً تعارضونني حينها يمكن إجابته لتناق أن لك الحق في إبداء رأيك واعدك أنني سأستمع وإذا احتدم النقاش دكرني بالاتفاق". على الأهل أن يعرفوا ما الأمور التي تزعج الابن ويعمدوا إلى إيجاد الحلول.

وتشدد معلوف أخيراً على أن الأهل يجب أن يكونوا المثال الأوّل الذي يحتذي به المراهق ولا ضير في أن يكون لديه نموذج آخر خارج إطار العائلة شرط أن يكون ضمن المعقول. عليهم أن يكونوا أصدقاء لأبنائهم لا رجال شرطة، وأن يكونوا المرجع الأوّل والأخير لهم.



“الذئب الطهاح”

تأليف: إسماعيل الصغير
رسوم: سامر أسامة
صادر عن دار الحداثق، بيروت- لبنان
تروي الحكاية قصة عوع الذئب الذي أنهكه البحث عن الطعام. نام في ظل شجرة وحلم حلماً غريباً. فما هو؟ تتناول القصة موضوع الطمع وكيف يضر بصاحبه.



“كريم وماما في المطبخ”
تأليف: هدى الناشف
رسوم: مايا الطويل
صادر عن: تورينغ بوينت للنشر والتوزيع، بيروت- لبنان
دعا كريم أصدقاءه إلى منزله وطلب من والدته أن تحضّر له الحلوى المفضّلة عنده. تهدف القصة إلى إلقاء الضوء على أهمية التعاون في الحياة.